من جهة ثانية فان اللبناني لا يفطن الى أن تصاعد الجرائم والمخالفات في لبنان ناجم عن عامل حضاري أساسي . لقد دخلنا في التيار الذي سبقتنا اليه الولايات المتحدة والذي أخذ يظهر أيضا في أوروبا . ففي فرنسا مثلا زاد عدد الجرائم خلال أربع سنوات بنسبة ٥٥ بالمئة في أنواع معينة من الجرائم . ان العصر الحضاري هو بحد ذاته عصر الجريمة ، عصر المخالفات ، فالحياة المدينية لكونها مصطنعة تضيق على أهلها كمن يضع جرذانا في قفص اختبار فتبدأ في الاختلاف اذا كان عددها ثلاثة ثم بالاقتتال اذا زاد عددها عن ذلك ، فتبدأ الجريمة في مستوى الحيوان ولا يشذ عن هذه القاعدة الانسان .

بطبيعة الحال علينا أن نعالج هذه الاخطاء بحزم . وأمس رحبنا بالقرار الذي اتخذته منظمة التحرير الفلسطينية بتشديد العقوبة على المخالفات حتى تصل الى حد الاعدام في بعض الجرائم . على الثورة أن تكون نظيفة في علاقاتها مع اللبنانيين لكي لا تستثير الحساسيات المدفونة في باطن التاريخ والتراث المؤسف الغابر حتى لا تعود بعض النفوس فتتحرك من جديد .

ويضاف الى كل ذلك تأثير الدعايات الاجنبية والمداخلات الاجنبية والتناقضات التي تحدثها الدول العربية في لبنان . لاننا نحن في الحقيقة مشاع للحرب القائمة بين الغرب والعرب وبين العرب أنفسهم ضمن لبنان .

السلاح ، والجيش الثقة هو البديل

العنصر الاخير الذي اتحدث عنه هنا هو التسلح الذي يخيف الجميع . أن نفكر بأن هنالك ٣٠٠ ألف او ٤٠٠ ألف قطعة سلاح (أو أقل من ذلك أو أكثر حسب التقديرات المبالغ فيها) أمر خطير بحد ذاته لانه ماذا سيكون مصير البلد اذا أفلت هؤلاء المسلحون؟ ربما سنعود الى ما قبل عهد الامارات الى الاقطاعات ، عندها يؤسس كل شخص امارة أو مشيخة على حسابه من جنوب لبنان الى شماله ، خاصة في غيبة السلطة وفي غيبة جيش يمكن لجميع اللبنانيين ان يثقوا فيه . لهذا السبب كنا أول من طالب بأن يشعر اللبنانيون جميعا، بادىء ذي بدء ، بأن الجيش هو للجميع حتى يتمكن من النزول الى الساحة . ان تنظيم الجيش أمر أساسي كذلك جعل التوازن تاما كاملا في جميع الوظائف الحساسة في لبنان ، شاء هذا القائد أم لم يشأ ، فالقضية أصبحت مصيرية بالنسبة للبنان . عندئذ ، يتمكن الجيش من النزول والفصل بين الناس أيا كانوا . وعندها يثق الفلسطينيون انه اذا نزل الجيش فانه لن يعتدي عليهم .

نظرة الى المستقبل

هذه هي العناصر التي تشكل الثقل في مصير العلاقات الفلسطينية ــ اللبنانية . وهي علاقات ستظل تمر بهذا التأزم الدائم ، لانه من الصعب جدا اقناع الدولة أو فريق كبير من الناس على الصعيد التقليدي الاسلامي او على الصعيد التقليدي الانعزالي المسيحي بأن يبدلوا ولو شيئا من النظام السياسي في هذا البلد . لهذا السبب فان الوضع الفلسطيني في لبنان يرتبط بشكل عضوي وأساسي بالوضع اللبناني . ذلك ان انعكاسات هذه العلاقات بين الجانبين اللبناني والفلسطيني مترابطة ومتلازمة وكأنها في النهاية ثورة واحدة يشعر فيها الناس ان هناك التزاما فلسطينيا بتقدم لبنان والتزاما لبنانيا بثورة فلسطين . وبدون هذا الالتزام لا يمكن أن نخطو خطوة في مواجهة هذا الحائط الرجعي اللبناني الانعزالي المسيحي والانعزالي الاسلامي، لان التقليد الاسلامي كان أشد وطأة علينا لرداءة تمثيله السياسي وبتقبله كل تسوية آتية على ظهر القضايا الرئيسية وعلى ظهر التقدم الحقيقي في لبنان ، تماما كالانعزالية ذاتها التي نشكو منها